

## مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسليليا  
(تابع لما قبل)

### فصل

#### في الرياضة

أما رياضة الجسم فهي من اشد الاشياء ضرورة لنمو الولد ولا سيما اذا  
دخل الكتاب وصار يقضي فيه بضع ساعات من النهار مكباً على الدرس  
أكباً لا يتأق له معه ان يبرح مكانه كلما اراد. فلذلك ينبغي ان يتخلل ساعات  
الدرس فترات متعددة يقضيها الاولاد بالرياضة واللعب كما يجب على المعلم ان  
يعد لهم او يضع بين ايديهم ما يستلقت انظارهم من فنون اللعب الذي يقتضي  
الحركة ومجانبة السكون حتى يلعبوا فتمن بذلك ابدانهم في لين معاطف ويشد  
عضلهم وتصلب اعضاؤهم من غير جسارة. ولكن يجب عليهم ايضاً ان يتفادى  
من اكراههم على صنف من اللعب لا يحبونه ومن صدمهم عن صنف يحبونه  
لان افقع اللعب لهم ما يتمتعهم وما يلعبونه من تلقاء انفسهم ويجدون فيه لذة  
وسروراً. وفائدة الرياضة كلها قائمة في هذا الامر وهو ان يلعب الاولاد  
اللعب الذي يقتبطون به ويخترعونه او يختارونه هم لانفسهم لا اللعب الذي  
يقترح عليهم. وهذا بديهي لانهم ان اكرهوا على صنف من اللعب لا يحبونه  
ولا يتمتعهم لم يجدوا فيه لذة ولا لهواً بل كان لهم بمنزلة مداومة للدرس من غير  
انقطاع ولا فترة ففوت بذلك النكته المرادة منه وهي اعفاؤهم من الدرس  
برهة لراحة اذهانهم وترويح نفوسهم وشرح صدورهم. وزد على ذلك ان اللعب  
بمنزلة جائزة لهم ينالونها على ما قاسوه من المضض في اكبابهم على القراءة

والكتابة والدرس فكما كانت تلك الجائزة أحب اليهم كانوا على اكتسابها احرص  
ومن صنوف الرياضة التي تحسن آثارها فيهم لافي صدام قط بل في  
شبيبتهم ايضاً الرقص والسباحة والتمشي الى الارياف والمنازه في الايام المصحية  
وكذلك ركوب الخيل والتزاور وهو شيء مما يفعله البلهوان

ثم انه من البغي ان يزجرهم عريضهم او معلمهم عن الضميج والوضوخاء  
والطقطقة والقهقهة اثناء اللعب بحجة انه يشتمر من ذلك فان هذه افعال طبيعية لم  
وترتب على لعبهم فلا اظلم ممن يردعهم عنها فراراً من احتمال مشقة بسيرة بسببها  
وكذلك يحسن ان يشركهم عريضهم في اللعب ترغيباً لم فيه وتجربة لم  
عليه لانه ان اعتزل اللعب معهم شعروا بانه رقيب عليهم لاغير فقتوه لان كل  
رقيب ممقوت بغض

ويحسن ايضاً ان يكون لعبهم على رهن او جائزة زهيدة من نحو  
كتاب او غيره ينالها في ختام السنة من كان ابرعهم في فنون اللعب لان  
ذلك يرغبهم في هذا الضرب من الرياضة ويحملهم على المغامرة وينشطهم على  
المباراة فتحسن آثار ذلك فيهم اذا شبوا لانهم يعتادون به المغالبة التي لا بد  
منها في هذه الدنيا لدفع المضار واجتلاب المنافع

### المطلب الرابع

#### في التربية الذهنية

الفرق بين التعليم والتربية ان ذاك قائم بتلقينك الولد شيئاً من المعارف  
بمقدار ما يتسع له ذهنه بالنظر الى سنه ومراحه وتلك قائمة بارهاقك ذهنه  
شيئاً فشيئاً ليتيماً ويتسع لقبول ما ستلقيه اليه من تلك المعارف . والتعليم خاص  
لانه مقصور على امداد قريحة الولد بما يلائمها من مواد المعارف الانسانية اما

التربية فمادة لانها تناول ما فيه انماء بدنه وتكوين سيرته وتهذيب اخلاقه فضلاً  
عن ارفاف ذهنه . وكل من ربيته قد علمته شيئاً او اخرجته من القوة الى  
الفعل ما كان كامناً في فطرته من القوى العقلية وايقظت ما كان من ذلك راقداً  
في سميته ولكن ليس كل من علمته شيئاً قد ربيته . فان قلنا هذا غلامٌ حسن  
التربية قد وصفناه ايضاً بان له المأماً بشي من المعارف ولكن ان قلنا هذا  
غلامٌ له المأماً بشي من المعارف لم ينتج من ذلك بحكم الضرورة انه حسن  
التربية ايضاً فالتعليم اذا فرغ من التربية وذريعة من ذرائعها لا التربية كلها كما  
يذهب اليه بعض الناس

والتربية باطلاق اللفظ اي التربية العامة التامة هي عملٌ عظيم مهمٌ متعدد  
الاساليب متنوع الكيفيات متفاوت السير والادوار مختلف الاعراض الا ان  
جوهره واحد كما ان غايته واحدة وهي اعانة الطبيعة على انماء بدن الولد  
وتنوير ذهنه وتكوين سيرته وتهذيب اخلاقه وكل ذلك بقدر الاستطاعة وعلى  
الوجه الاصلح له فيما سيصير اليه والاصح للجمهور ايضاً . وهذه الغاية يدركها  
المرابي سواء كان اباً او امّاً او معلماً او استاذاً بذرائع متعددة قد ارتبط بعضها  
ببعض لا يبرز فعلها ارتباط بعض دوايب الساعة ببعض حتى اصبحت ولا غنى  
لأحداها عن الاخرى

فدوائر تربية البدن قد تقدم منها في موضعه ما ينبغي عن تكراره هنا  
اما دوائر تنوير الذهن فمن اهمها ما نحن بصدد من التعليم . الا ان هذا  
التعليم ينبغي ان يبدأ فيه بالاشياء اي بفهم الولد معاني الاشياء التي تقع تحت  
حواسه وقسورها له بالصوت الحي اي بالتقنين الشفاهي وبجوابة الاسئلة التي  
لا يفتقر عن طرحها بالاشارة او باللسان لان طلب العلم غريزي قد فطر عليه

الاولاد كافة . انظر الى هذا الطفل وهو بعد في مهده فان تحديق النظر في كل غريب يدنونه وتناوله كل ما تقع عليه يده ليجعله الى فيه ويضع عليه كل ذلك استفهام غريزي ورغبة طبيعية في الاستطلاع بها يتدنى تور عقله فيشرع في ادراك المدركات وتفهمها بالاختبار والامتحان من تلقاء نفسه وعلى قدر استطاعته وهذا اكثر انواع التعليم والتعلم فائدة . وانظر ايضا الى هذا الصغير اذا ذهبت به امه او ظفيرة او حاضنته الى البستان او احد المنازه فانه قلما يقطف زهرة او يصطاد فراشة او يلتقط حصة الآجاء بها الى من يكون معه وفي يريق عينيه وتهلل وجهه دليل لا على اغتباطه بما وجد فقط بل على رغبته ايضا في معرفة شيء من امره يطلب ذلك تارة بالاشارة واللميح وتارة بالصريح بقوله لماذا وماذا وما جرى هذا المجرى من الاسئلة التي لا يكاد يتر عن طرحها علينا ولا نكاد نحن فتر عن زجره عنها محتجين انه لا يليق بمن كان في سنه ان يكون فضولاً متظالاً حتى اتنا اذا جاوبناه عليها فكثيراً ما نجعل جوابنا قليل الفائدة او مخالفاً للحقيقة وذلك اما جهلاً او كسلًا او لعلنا اخره . وقد مر بك ان التربية غايتها ان تؤهل الانسان منذ حداثة سنه لان يكون رجلاً بالحق اذا شب وهذا يقتضي من المربي كاشاً من كان ان يهي باعانة الطبيعة على انماء ذهن الولد وتقوية عناية الزارع بالزرع وعناية الكرام بالكرمة فكما ان الزارع يتعهد الزرع ويقطع ما ينبت في خلاله من شوك يخنقه وزوان يفسده وكما ان الكرام لا يترك الكرمة لشأنها بل يتعهدا بالتقريب والتعريش والسقي فكذلك يجب على المربي ان يحرص على تقوية ذهن الولد وارهاقه وتهيته لما سيأتي اليه من المعارف وما سيقتنه من التهذيب لان التربية انما وتقوية لا لبدنه فقط بل لذهنه ايضا الا انها ينبغي ان تكون في امر

الذهن كما هي في امر البدن اي رويدا رويدا وبحسب ترتيب الطبيعة وتبعاً  
لجراها لا ابتساراً ولا قسراً لان كل ما ابتسرتة او انبتة قسراً او لم تقوه لابرار  
الثمار التي تحب ان يبرزها قد انبتة عبثاً وعرضته لوشيك الذبول وليس  
لخالقتك فيه مجرى الطبيعة وكنت فيه كالذي يستنبت شجرة لا في ارض طيبة  
بل في بيت من الزجاج ويندوها ساداً كيماويًا ويسقيها ماء العقاقير لا ماء  
طبيعياً من مطر الغمام او ندى الاسحار ويحملها على سرعة النمو بحرارة النار  
او البخار لا باشعة الشمس والهواء الطيب ثم يقطع في ان ثمر ثمرًا صالحاً زكياً  
لكنها قلما ثمر وان ضلت فثمرها يكون في الغالب تفها لا يستلذه احد ثم انها  
وان سمحت اغصانها تبقى ضعيفة قلقة لان اصولها غير راسخة في ارض ثلاثها فاذا  
زُعزعت ايسر زعزعة اقلعت

وهذا الضرب من الانماء الابتساري القسري لاذهان الاولاد هو  
عين ما نراه في بلادنا بل في غيرها من البلاد ايضاً فما اكثر المدارس عندنا  
ولكن ما اقل منها وانما قل نفعا لان القيمين عليها لا يلتفتون الى تربية الاولاد فيها  
بحسب سنت الطبيعة ولا يراعون في ذلك ما تقتضيه الحال بل بحسب زعمهم او وهمهم  
او بحسب ما تحدوم اليه مصطلحتهم او ما يحدوم اليه زهوم وزهو والوالدين ايضاً  
فيحشون رأس الولد قواعد علوم لا تلائم طبعه ولا توافق ميله واستعداده ولا  
تناسب سنة وطبقة اهله ولا يفهمها هو نفسه لانهم لم يرشحوه لها من قبل ذلك  
فالولد الذي يربونه هكذا يصبح وهو ابن اربع عشرة سنة عجوبة زمانه  
ونابغة عصره حنظلاً لانواع البديع وايات الالفية واسماء بحور الشعر واصناف  
الزحاف واصطلاحات المناطقة لكنه يبقى طول عمره ماثلاً مغفلاً بليداً ان استكتبته  
بضعة اسطر شحها تسجيماً وتجنيساً لكنه لحن فيها مراراً باعتبار اللفظ واخطأ

المرمى باعتبار المعنى وان استشدته بيتاً لم يُقَم وزنه وان غلطته بقياس سوفطاني  
لم يدرك من اين دخلت عليه المغالطة

وانما كانت هذه حالة أكثر الاولاد في بلادنا لاننا نتوهم ان تربيتهم  
قائمة بمجرد تدريسهم بعض قواعد العلوم فنكرهم على تعلمها والأولى ان نقول  
على تحفظها غيباً وهم في سن لا تصلح لها وطبع ينفر منها ومن قبل ان نهيتهم  
لادراك مفزاها بالذرائع العملية البدسية اي بتنوير اذهانهم اولاً وثقويتها شيئاً  
فشيئاً وذلك بالخطاب قبل الكتاب حتى يترشحوا لقبول الدروس التي ستلقى  
عليهم بعد ذلك فيفهمونها ويتشربونها ويطبقون احكامها الكاية على ما يجري  
كل يوم على مسمع منهم ومرأى من الاحوال والحوادث الجزئية ويكونون الى  
تحقق صحة تلك الاحكام اسرع لانهم يتقنوا انطباقها على الجزئيات التي لابسوها  
واختبروها بانفسهم من قبل . اما القواعد التي نعلمهم على تحفظها غيباً ومن غير  
فهم عملي لمانيها فتكون عندهم من قبيل الالغاز والاحاجي ويصير مثلم فيها كمثل  
الحمار يحمل اسفارا ولا تستقر في ذاكرتهم الا حيناً ثم ينسونها بته

وما أكثر تبجحنا اذا ختم الولد منا دروسه هذه ونال الشهادة او حاز  
الاجازة من الفاحصين وما اشد مباهاتنا بما يسرده يومئذ علينا وعلى اصدقائنا  
من جُلٍ مطمئنة لا يدري معناها ومن قواعد عريضة لا يقدر ان يبني عليها  
شيئاً اذا مست الحاجة . مساكين الاولاد الذين هذه حالهم فهم ينشئون  
وينمون ولكن قوتهم التربية الحقيقية اي الذهن الخرج والذهن المنب والعتل المستنير  
وغير ذلك من صفات الذكاء التي بها لا بسواها يمكنهم ان يتعلموا كل ما يصلح  
لهم وما يؤهلهم لان يكونوا رجالاً  
ستأتي البقية